

التحرير والتنوير

فمعنى (لا يموت) : لا يزول عنه الإحساس فإن الموت فقدان الإحساس مع ما في هذه الحالة من الأعجوبة وهي مما يؤكد اعتبار تراخي الرتبة في هذا التنكيل .
وتعقيبه بقوله (ولا يحيى) احتراسا لدفع توهم أن يراد بنفي الموت عنهم أنهم استراحوا من العذاب لما هو متعارف من أن الاحتراق يهلك المحرق فإذا قيل (لا يموت) توهم المنذرون أن ذلك الاحتراق لا يبلغ مبلغ الإهلاك فيبقى المحرق حيا فيظن أنه إحراق هين فيكون مسلاة للمهددين فلدفع ذلك عطف عليه (ولا يحيى) أي حياة خالصة من الآلام والقرينة على الوصف المذكور مقابلة ولا يحيى بقوله (يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها) .
وليس هذا من قبيل نفي وصفين لإثبات حالة وسط بين حالتيهما مثل (لا شرقية ولا غربية) وقول إحدى نساء أم زرع " لا حر ولا قر " لأن ذلك لا طائل تحته .
ويجوز أن نجعل نفي الحياة كناية عن نفي الخلاص بناء على أن لازم الإحراق الهلاك ولازم الحياة عدم الهلاك .

وفي الآية محسن الطباق لأجل التضاد الظاهر بين " لا يموت ولا يحيى " .
(قد أفلح من تزكى [14] وذكر اسم ربه فصلى [15]) استئناف بياني لأن ذكر (من يخشى) وذكر (الأشقى) يثير استشراف السامع لمعرفة أثر ذلك فابتدئ بوصف أثر الشقاوة فوصف (الأشقى) بأنه (يصلى النار الكبرى) وآخر ذكر ثواب الأتقى تقديماً للأهم في الغرض وهو بيان جزاء الأشقى الذي يتجنب الذكرى وبقي السامع ينتظر أن يعلم جزاء من يخشى ويتذكر .
فلما وفي حق الموعظة والترهيب استؤنف الكلام لبيان المثوبة والترغيب . فالمراد ب (من تزكى) هنا عين المراد ب (من يخشى ويذكر) فقد عرف هنا بأنه الذي ذكر اسم ربه فلا جرم أن ذكر اسم ربه هو التذكر بالذكرى فالتذكر هو غاية الذكرى المأمور بها الرسول (ص) في قوله تعالى (فذكر) .

وقد جمعت أنواع الخير في قوله (قد أفلح) فإن الفلاح نجاح المرء فيما يطمح إليه فهو يجمع معني الفوز والنفع وذلك هو الظفر بالمبتغى من الخير وتقدم في قوله تعالى (أولئك هم المفلحون) في البقرة .

والإتيان بفعل الماضي في قوله (أفلح) للتنبيه على المحقق وقوعه من الآخرة واقتترانه بحرف (قد) لتحقيقه وتثنيته كما في قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) وقوله (قد أفلح من زكاها) لأن الكلام موجه إلى الأشقيين الذين تجنبوا الذكرى إثارة لهمتهم في الالتحاق بالذين خشوا فأفلحوا .

ومعنى تزكى : عالج أن يكون زكيا أي بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها كما قال تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) .

فمادة التفعّل للتكلف وبذل الجهد وأصل ذلك هو التوحيد والاستعداد للأعمال الصالحة التي جاء بها الإسلام ويحى بها فيشمل زكاة الأموال .

أخرج البزار عن جابر بن عبد الله عن النبي A قال : (قد أفلح من تزكى) قال : من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله (وذكر اسم ربه صلى) قال : هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها وهو قول ابن عباس وعكرمة وقتادة .

وقدم التزكي على ذكر الله والصلاة لأنه أصل العمل بذلك كله فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية فعلمت منافعتها وأكثرت من الإقبال عليها فالتزكية : الارتياض على قبول الخير والمراد تزكى بالإيمان .

فيكون الذال بكسر هو الذي اللساني الذكر من يكون أن يجوز (ربه اسم ذكر) وفعل A E كلمة (اسم ربه) مرادا بها ذكر أسماء الله بالتعظيم مثل قول لا إله إلا الله وقول الله أكبر وسبحان الله ونحو ذلك على ما تقدم في قوله (سبح اسم ربك الأعلى) .

ويجوز أن يكون من الذكر بضم الذال وهو حضور الشيء في النفس الذاكرة والمفكرة فتكون كلمة (اسم) مقحمة لتدل على شأن الله وصفات عظمته فإن أسماء الله أوصاف كمال .

وتفريع (صلى) على (ذكر اسم ربه) على كلا الوجهين لأن الذكر بمعنييه يبعث الذاكر على تعظيم الله تعالى والتقرب إليه بالصلاة التي هي خضوع وثناء